السنة الحادية والثلاثون بعد المئتين

فيها كانت وقعةُ أهل المدينة مع بني سليم[(١)]، وقد ذكرنا أنَّ بُغا التركيّ لمَّا ظهر على بني سُلَيم حملهم إلى المدينة، وحبسَهم في دار يزيد بن معاوية، وكانوا نحو ألف رجل، وقيل: ألف وست مئة، أو ثلاث مئة، فأقاموا مقيَّدين، موكَّلٌ بهم حفظة، فنقبوا الدارَ ليخرجوا منها، فرأتهم امرأةٌ، فصاحت، فجاءَ أهلُ المدينة، فوجدوهم قد وثَبوا على الموكَّلِين، فقتلوا منهم رجلاً أو رجلين، وأخذوا سلاحهم، واجتمعَ عليهم أهل المدينة ـ وكان عليها يومئذٍ عبد الله بن أحمد بن داود الهاشمي ـ وكانوا وَثبوا عشيَّة الجمعة، فباتُوا محصورين، فلمَّا كان يوم السبت باكروا للقتال، وكان عُزيزة بن قطَّاب يحمل ويقول: [من الرجز]

لا بدَّ من زحمٍ وإنْ ضاقَ البابْ إنِّي أنا عُزيزة بن قطَّابْ
الموتُ خيرٌ للفتى من العابْ[(٢)]

وكان قد فكَّ قيدَه من رجله، فقتل، وقُتِل بنو سليم بأسرهم، وقَتَلَ السودانُ من لقوا من الأعراب بأزقَّة المدينة ممَّن جاء يمتار ويزور.

وكان بغا لمَّا حجَّ في السنة الماضية خرجَ فأقام بذي عرق، وأخذَ جماعةً من بني هلال من المفسدين، ورجع إلى مكَّة فاعتمرَ أول المحرم، ثمَّ انصرفَ إلى المدينة، فلمَّا قدمَها ووجدَ أهلَها قد قتلوا بني سليم شَقَّ عليه ووجد وجداً عظيما، وكان البوَّابُ قد أخذَ منهم ألفَ دينار ليفتحَ لهم الباب، فعجَّلوا قبل ميعاده، وكانوا يرتجزون:

الموتُ خيرٌ للفتى من العار قد أخذَ البوَّابُ ألفَ دينار

وقيل: إنَّ عزيزةَ لم يقتلْ في المعركة، وإنما اختبأ في بئر، فدخلَ عليه رجلٌ من أهل المدينة فقتلَه فيها[(٣)].

---

(١) لم يذكر في (ب) تفصيل الخبر، وذكر بعدها: وفيها قتل الواثق أحمد بن نصر الخزاعي، وسنذكره في موضعه.

(٢) في (خ) و(ف): العذاب. والمثبت من تاريخ الطبري ٩/ ١٣٣، والعيب والعاب بمعنى. وبعدها في تاريخ الطبري: هذا وربي عملٌ للبوَّاب.

(٣) من قوله: وقد ذكرنا أن بغا التركي . . . إلى هنا ليس في (ب).

وفيها عزم الواثق على الحجّ، وبعثَ عمر بن فرج الرُّخَّجيّ لإصلاح المناهل، فرجع وأخبرَه أنَّ الطريق قليلُ الماء، فتركه[١].

وفيها ولَّى الواثقُ جعفَر بن دينار اليمن، فخرجَ إليها في شعبان في أربعة آلاف فارس، وقيل: في ستة آلاف فارس[٢].

وفيها ولَّى الواثق إسحاقَ بن إبراهيم بن أبي حفصة[٣] مولى بني قُشَير على اليمامة والبحرين وطريق مكة ممَّا يلي البصرة، وعقدَ له محمدُ بن عبد الملك الزيَّات في دارِ الخلافة، ولم يعقدْ لأحدٍ سواه فيها[٤].

وفيها رَأى الواثقُ في المنام بأنَّه قد فُتِحَ سدُّ يأجوج ومأجوج، فانتبهَ فزِعاً، وبعثَ إلى السدِّ سلام الترجمان [وقد ذكرنا القصة في صدر الكتاب في قصة ذي القرنين.][٥]

وفيها فَادَى[٦] الواثقُ أسارى المسلمين على يدِ خاقان خادم الرشيد، وكانوا أربعةَ آلاف وثلاثة[٧] وستين مسلماً، فكان الفداءُ على نهر في بلاد الروم يقال له: اللامس، قريب من سَلُوقِيَة، وسَلُوقِيَة من طَرَسُوس على يومين، فاجتمَع الروم والمسلمون عليه يوم عاشوراء، فقال أحمد بن أبي دؤاد: امتحنوا الأسارى، فمن قال: إنَّ القرآن مخلوق، فخلِّصوه وأعطوه دينارين، ومن أبى دعوه بحاله في الأسر، فأجابَ معظمُ القوم للقول بخلق القرآن خوفاً من إعادتهم إلى الأسر، ورجع البعض، وكان ابنُ أبي دؤاد قد بعث من أصحابه يحيى بن آدم الكَرْخيّ وجعفر بن الحذاء[٨]، وأمرَهما

(١) في تاريخ الطبري ٩/ ١٤٠ ، والكامل ٧/ ٢٣ ، والمنتظم ١١/ ١٦٣ : فبدا له.

(٢) في تاريخ الطبري ٩/ ١٤٠ ، والكامل ٧/ ٢٣ أنه كان معه أربعة آلاف فارس وألفي راجل.

(٣) كذا في (خ) و(ف) والنجوم الزاهرة ٢/ ٢٥٨. وفي تاريخ الطبري ٩/ ١٤٠ ، والمنتظم ١١/ ١٦٤ : بن أبي خميصة. وهو الصواب.

(٤) من قوله: وفيها ولى الواثق جعفر . . . إلى هنا. ليس في (ب).

(٥) ما بين حاصرتين من (ب). ووقع فيها بعدها: وفيها حج بالناس سليمان (كذا) بن داود. السنة الثانية والثلاثون بعد المئتين.

(٦) في (خ) و(ف): قاد.

(٧) كذا في (خ) و(ف)، ولعلها: وثلاث مئة. انظر تاريخ الطبري ٩/ ١٣٢، وفيه: أربعة آلاف وثلاث مئة واثنتين وستين.

(٨) في (خ) و(ف): يحيى بن آدم الكردي ورجع بن الحداد. والتصويب من تاريخ الطبري ٩/ ١٤٢.

بامتحان الأسارى، وكان ملكُ الروم ميخائيل بن توفيل بن ميخائيل بن اليون بن جرجس، وهو الذي بعثَ يطلبُ الفداء من الواثق، وعقد الواثق لأحمد بن سعيد بن سلم بن قتيبة الباهليّ على الثغور والعواصم، وأمره أن يَحضُرَ الفداء، فحضره، وقالت الروم: لا نأخذُ امرأةً ولا شيخاً ولا صبيًّا، ثمَّ رضوا بعد ذلك بفداء نفسٍ بنفس، ولم يقع فداء بين المسلمين والروم من[1] زمن محمد الأمين في سنة أربعٍ وتسعين ومئة إلَّا هذا.

وحجَّ بالناس محمد بن داود.

وفيها توفي

أحمدُ بن نصر

ابن مالك بن الهيثم بن عَوف بن وَهْب بن عَمِيرة، أبو عبد الله الخُزاعيّ، من ولد عمرو بن لحيّ أول من بحرَ البحيرة، وسيَّب السائبة.

ومالك بن الهيثم أحد نُقباء بني العباس في ابتداء دولتهم، وسُوَيقةُ نصرٍ ببغداد تنسب إلى نصر بن مالك.

وكان أحمد من كبار العلماء والزهَّاد، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، قوَّالاً بالحقّ، قتله الواثق في هذه السنة، واختلفوا في سبب قتله، قال الصوليّ: كان أحمد ابن نصر وسَهْل بن سلامة حين كان المأمونُ بخراسان بايعا النَّاسَ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى أن دخلَ المأمونُ بغداد، فترفَّقَ بسهل حتى لبس السواد وأخذ الأرزاق، ولزم أحمد بيتَه، ثمَّ اجتمع إليه في آخرِ أيَّام الواثق خلقٌ كثيرٌ يأمرون بالمعروف إلى أن ملكوا بغداد، وتعدَّى رجلانِ من أصحابه يقال لأحدهما: طالب في الجانب الغربي، والآخر أبو هارون في الجانب الشرقي، وكانا موسرين، فبذَلا الأموالَ، وعزمَا على الوثوب ببغداد في شعبان من هذه السنة، فنمَّ عليهما قومٌ إلى إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، فأَخذَ أحمد بن نصر وأصحابه طالباً وأبا هارون،

(١) في (خ) و(ف): في. وهو خطأ. انظر تاريخ الطبري ٩/ ١٤٢.

فقيدهم[١]، ووجد في [منزل أحدهما[٢]] أعلاماً، وضَربَ خادماً لأحمد بن نصر، [فأقرَّ أنَّ][٣] الرجلين كانا يأتيان أحمد بن نصر في منزله ليلاً فيعرِّفانه ما فعلا، وكان يصوِّبُ ذلك، فبعثَ بهم إلى الواثق مقيَّدين إلى سُرَّ من رأى فحبسَهم.

وقال الطبريُّ: كان أحمدُ بن نصر يغشاه أصحابُ الحديث، كيحيى بن معين وأصحابه، وأبي خيثمة وغيرهما، وكان يظهرُ المباينةَ لمن يقول بخلق القرآن، مع منزلةِ أبيه في دولة بني العباس، ولما شاع عن الواثق القولُ بخلق القرآن كان أحمد يقول عن الواثق: قال هذا الخنزير، وفعل الخنزير، وقال الكافر، ونحو ذلك، وكان يغشاهُ رجلٌ يعرف بأبي هارون السرَّاج، وآخر يقال له: طالب، وآخر من أهل خراسان، واجتمع أصحاب الحديث وغيرهم إليه، وحملوه على إظهارِ الإنكار بخلق القرآن، وتواعدوا على الوثوب ببغداد، طالبٌ في الجانب الغربي وأبو هارون في الجانب الشرقيّ، وفرَّقوا الأموالَ في الناس، وتواعدوا على الخروج ليلة الخميس لثلاث خلون من شعبان، فلمَّا كان عشية الثلاثاء، جلس جماعةٌ يشربونَ الخمر فثملوا، وظنُّوها ليلة الخميس، فضربوا الطبل، فلم يجبهُم أحد، وكان إسحاق بن إبراهيم غائباً عن بغداد، وخليفتُه بها أخوه محمد بن إبراهيم، فبعثَ إليهم من سألهم عن القصَّة، فأكثروا، فنمَّ عليهم رجلٌ يقال له: عيسى الأعور، فأخذَهم محمد وقيَّدهم بقيودٍ ثقال، وبعثَ بهم إلى الواثق، وكانوا ستةً[٤]، أحمدُ بن نصر، وأبو هارون، وطالب، والخراساني، وخصيين، فحُمِلوا إلى سامرَّاء على بغال بغير أُكُف، وكان خروجُهم من بغداد يوم الخميس لليلةٍ بقيت من شعبان هذه السنة.

ذكر مقتله:

قال الصولي: جلس لهم الواثق، وقال لأحمد: دعْ عنك ما أحدثت من الخروج

(١) في تاريخ بغداد ٦/ ٤٠١: فقيدهما. وهو الصواب، يريد أنه قيد طالباً وأبا هارون.

(٢) في (خ): منزلهما. وفي (ف) بياضٌ يتسع لكلمتين. والمثبت بين حاصرتين من تاريخ بغداد ٦/ ٤٠١.

(٣) في (خ) و(ف): بياض والمثبت من تاريخ بغداد.

(٤) الستة كما في تاريخ الطبري ٩/ ١٣٧ هم: أحمد بن نصر، وخصيين وابنين له ورجل ممن كان يغشاه يقال له: إسماعيل بن معاوية بن بكر الباهلي.

على السلطان، ما تقول في القرآن؟ قال: كلام الله غير مخلوق، قال: أفترَى ربَّك يوم القيامة؟ قال: نعم، كذا وردت الأخبارُ ونطق القرآن، فقال: ويحك يرى كما يُرى الجسمُ المحدود، ويحويه مكان ويحصره الناظر؟! أنا أكفرُ بربٍّ هذه صفته، ثم قال للحاضرين: ما تقولون فيه؟ قال عبد الرَّحمن بن إسحاق ـ وكان قاضياً على الجانب الغربي من بغداد ثم عزل ـ : [هو حلالُ الدَّم][1]، ووافقه جماعةُ الفقهاء، فأظهر أحمد ابن أبي دؤاد الكراهيةَ لقتله، وقال: شيخٌ كبيرٌ مختلٌّ، لعلَّ به عاهة، ويؤخَّر أمره ويستتاب. فقال الواثق: ما أُراه إلا مؤذناً بالكفر، قائماً بما يعتقده منه، ودعا بالصَّمصامة، وقال: إذا قمت إليه لا يقومنَّ أحدٌ معي، فإنِّي أحتسبُ خطايَ إلى هذا الكافر، ثم أمرَ بالنِّطع، فجلسَ عليه وهو مقيَّد، وأمرهم بشدِّ رأسِه بحبل، وأمرَهم أن يشدوه[2]، ومشى إليه فضربَ عنقَه، وأمر بحمل رأسِه إلى بغداد، فنُصِب في الجانب الشرقيِّ أيَّاماً وفي الجانبِ الغربيِّ أيَّاماً، ثم تتبَّع أصحابَه فحبسوا.

وقال الطبريُّ: لما حُمِل أحمد وأصحابه إلى سُرَّ من رأى، جلسَ لهم الواثقُ جلوساً عامّاً، فلما دَخلوا عليه قال له: يا أحمد، ما تقولُ في القرآن؟ قال: كلام الله، قال: أفترى ربَّك يومَ القيامة؟ قال: نعم كذا جاءت الآثارُ عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «إنَّكم لترونَ ربَّكم يوم القيامة»[3] الحديث، وذكر له أحاديث، فقال له إسحاق بن إبراهيم: ويلك، انظر ما تقول، قال: أنت أمرتني بهذا، فخاف إسحاق وقال: أنا أمرتك، قال: نعم، أمرتَني أن أنصحَ لأمير المؤمنين، ومن نصحي له ألَّا يخالفَ حديثَ رسول الله ﷺ، فقال الواثق: ما تقولونَ فيه؟ فقال عبد الرَّحمن بن إسحاق: هو حلالُ الدم، وقال الأرمنيُّ صاحب ابن أبي دؤاد: اسقني دمه، فقال ابن أبي دؤاد: يحبسُ ويستتاب، وأحمد قد استقتل[4] وتنوَّر، فدعَا الواثق بالصَّمصامة التي كانت لعمرو بن معد يكرب، وقام ومشى إليه، وضرب على رأسه، ثم ثنى على حبل العاتق، وانتضى

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ٦/ ٤٠١.

(٢) في تاريخ بغداد ٦/ ٤٠١ ـ والخبر فيه من طريق الصولي ـ: يمدوه.

(٣) أخرجه بهذا اللفظ اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٨٢٤) من حديث أبي هريرة، وأخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣) وغيرهم من حديث جرير بنحوه.

(٤) في (خ) و(ف): استقبل. انظر تاريخ الطبري ٩/ ١٣٧.

سيما الدمشقيُّ سيفَه، فضربَ عنقه.

وقيل: إنَّ بغا الشرابي ضربَه ضربةً أخرى، وحمل إلى حظيرة بابك، فصلب[١] بها، وقيداه في رجليه، ثم بُعِثَ رأسُه إلى بغداد، فنُصب، وفي أذنه ورقةٌ بخطِّ محمد بن عبد الملك الزيات مضمونها: هذا رأسُ المشرك الضالِّ أحمد بن نصر، قتله الله على يدي هارون الإمام الواثقِ بالله، أمير المؤمنين، بعدَ أن أقام الحجَّة عليه في خلقِ القرآن و[نفي][٢] التشبيه، وعرض عليه التوبة، فأبى إلَّا المعاندةَ والتصريح بالكفر، والحمدُ لله الذي عجَّله إلى ناره وأليم عقابه، وإنَّما قتله أمير المؤمنين لما أصرَّ على كفره.

وقال إسماعيل بن خلف: لمَّا قال الواثق لأحمد بن نصر: ما تقول في القرآن؟ قال: كلام الله تعالى، قال: كذبت، قال: لا، بل كذبت أنت، فعلقت بعنقه، فقال: جُرُّوه، فجرُّوه، فقطَعوا رأسَه.

والمشهورُ أنَّ الواثق قتله بيده، وساعده سيما الدمشقيّ، وهرثمة، وصلبَه إلى جانب بابك، وبعثَ برأسه إلى بغداد، فنصبَه، فأقام ستَّ سنين، ثم حُطَّ، وجمعوا بين رأسه وجسده، ودفن بالجانب الشرقي من بغداد في المقبرة المعروفة بالمالكية، يوم الثلاثاء لثلاثٍ خلونَ من شوال سنة سبع وثلاثين ومئتين[٣].

وقال إبراهيم بن إسماعيل بن خلف: كان أحمد بن نصر خِلِّي، فلمَّا قتل في المحنة وصُلِبَ رأسُه أخبرتُ أنَّ الرأسَ يقرأُ القرآن، فمضيتُ فبتُّ بقرب الرأس، وعنده رجَّالةٌ وحرسٌ يحفظونَه، فلمَّا هدأتِ العيون سمعت الرأس تقرأ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ﴾ الآيات [العنكبوت: ١-٢] فاقشعرَّ جلدي، ثم رأيتُه بعد ذلك في المنام وعليه السندسُ الأخضر والإستبرق، وعلى رأسه تاج، فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي وأدخلني الجنَّة، إلَّا أنِّي كنتُ مغموماً منذ ثلاثة أيام، قلت: ولم؟ قال: مرَّ بي رسولُ الله ﷺ، فلمَّا وصلَ إلى خشبتي حوَّل وجهَه عنِّي، فقلت: يا رسولَ الله. قُتِلْتُ على حقٍّ أم على باطل؟ قال: على الحق، قلت: فلم حَوَّلتَ وجهَك عنِّي؟ قال: قتلكَ

(١) في (خ) و(ف): حصيرة بابك، فطلب... وهو تحريف. وانظر تاريخ الطبري ٩/ ١٣٨.

(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٩/ ١٣٩.

(٣) تاريخ بغداد ٦/ ٤٠٥.

رجلٌ من أهل بيتي، فلمَّا بلغتُ إليك استحييتُ منك[١].

وقال أبو بكر المطوعيّ: لما جيء برأس أحمدَ بن نصر إلى بغداد صَلبوه على الجسر، فكانت الريحُ تديره قِبَلَ القبلة، فأقعدوا رجلاً معه رمحٌ يردُّه به إلى غير القبلة[٢].

وكان قتله يوم السبت غُرَّة رمضان، وله ثمانون سنة، وقيل: نيف وسبعون سنة.

وقال الخطيب: رُؤي في المنام، فقيل له: ما فَعلَ الله بك؟ فقال: ما كانت إلا غفوةٌ حتى لقيتُ الله ينظرُ إليَّ[٣].

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: رحمَ اللهُ أحمدَ بن نصر، ما كان أسخاه، لقد جادَ بنفسه.

وقال ابنُ معين: نَادى الواثقُ بعد مقتل أحمد بن نصر: من قال بأنَّ القرآنَ مخلوقٌ، وأنَّ الله لا يرى، فله ديناران.

وقال أحمد بن نصر: رأيت مجنوناً قد صُرِعَ، فقرأتُ في أذنه، فنادتني جنيَّته من جوفه: يا أبا عبد الله، دعني أخنقُه، فإنَّه يقول: إنَّ القرآنَ مخلوق[٤].

وقال أبو العباس بن سعيد المروزي: لمَّا ولي المتوكِّلُ الخلافةَ جلسَ ودخلَ عليه عبدُ العزيز بن يحيى المكيّ فقال: يا أمير المؤمنين، ما رُؤي أعجب من أمر الواثق، قتلَ أحمد بن نصر، وكان لسانُه يقرأ القرآن إلى أن دُفِن، فوجدَ المتوكِّل من ذلك، وساءَه ما سمعَه في أخيه، إذ دخلَ عليه محمد بن عبد الملك الزَّيَّات، فقال له: يا ابنَ عبد الملك، في قلبي من قتلِ أحمد بن نصر، فقال: يا أمير المؤمنين، أحرقني الله بالنَّار إنْ كان قتلَهُ الواثقُ إلَّا كافراً. ودخل هرثمة، فقال له المتوكل مثلَ ذلك، فقال: قطَّعني اللهُ إرباً إرباً إنْ كان قتلَهُ الواثقُ إلَّا كافراً، ودخل عليه أحمدُ بن أبي دؤاد، فقال له المتوكل مثلَ ذلك، فقال: ضَرَبني الله بالفالج إنْ كان قتلَه الواثقُ إلَّا كافراً، قال

(١) تاريخ بغداد ٦/ ٤٠٤.

(٢) تاريخ بغداد ٦/ ٤٠٤.

(٣) في تاريخ بغداد ٦/ ٤٠٤: فضحك إليَّ.

(٤) تاريخ بغداد ٦/ ٣٩٩.

المتوكِّل: فأمَّا ابنُ الزيَّات، فأنا أحرقتُه بالنار، وأما هرثمةُ فإنَّه هربَ فاجتازَ بقبيلة من خزاعة، فقطَّعوه إرباً إرباً، وأما ابنُ أبي دؤاد فقد سجنه الله في جلده[١].

أسند أحمدُ بن نصر عن مالك بن أنس وحمَّاد بن زيد وهُشَيم بن بَشير وغيرهم، وروى عنه ابنُ معين ويعقوب وأحمد ابنا إبراهيم الدورقيّ في آخرين.

أحمد بن حاتم أبو نصر النحوي

كان عالماً فاضلاً أديباً، صنَّف كتباً كثيرة، منها كتاب «الشجر» و«الزرع والنخل» و«الإبل» و«الخيل» و«ما يَلْحَنُ فيه العامة» وغير ذلك.

وكان الأصمعيُّ يقول: لا يصدق عليَّ أحدٌ إلَّا أحمدُ بن حاتم.

حدَّث عن أبي عمرو بن العلاء وغيره، وروى عنه إبراهيم الحربيُّ وغيره، وتوفي ببغداد، وكان صدوقاً ثقةً[٢].

علي بن محمد بن عبد الله

ابن أبي سيف المدائني، أبو الحسن، صاحب [التصانيف، مولى][٣] عبد الرحمن ابن سمرة، البصريُّ، العالمُ الفاضل، الصدوقُ الثقة، وكتابُه أحسنُ الكتب، ومنه أَخذ الناسُ تواريخَهم.

وقال الخطيب: كان من الثقات وأهل الخير، سَرَدَ الصوم قبل موته ثلاثين سنة[٤].

وقال أحمد بن يحيى النحويّ: من أرادَ أخبارَ الجاهلية، فعليه بكتب [أبي عبيدة، ومن أراد أخبار الإسلام، فعليه بكتب][٥] المدائني.

وقال القاضي التنوخيُّ: صنَّف المدائنيُّ كتاباً سماه كتاب المتيَّمين، وحكى فيه أنَّ رجلاً من بني أسد علق امرأة من همدان بالكوفة، وشاع أمرهما، فوضعَ أهلُ المرأة

(١) تاريخ بغداد ٦/ ٤٠٣ .

(٢) انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٥/ ١٨٣ ، ومعجم الأدباء ٢/ ٢٨٣ ، وإنباه الرواة ١/ ٣٦ ، ٤/ ١٨٠ .

(٣) في (خ) و(ف) بياض بمقدار كلمتين. والمثبت من تاريخ بغداد ١٣/ ٥١٦ .

(٤) انظر تاريخ بغداد ١٣/ ٥١٧ـ٥١٨ .

(٥) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ١٣/ ٥١٧ .

العيونَ عليها، فلمَّا دخلَ منزلها أحاطوا به، وكانت المرأة بادنةً، فأدخلته بين ثوبها وظهرها، ولصق بها، وهي قاعدة، فلم يروه، ودخلوا البيت، فطافوا، فلم يجدوا شيئاً، وهي تعنِّفُهم حتى انصرفوا، والرجل يقول: [من الطويل]

مكانكِ حتى تنظري عمَّ تنجلي ... غمامةُ هذا البارق المتألِّقِ[١]

وهذا البيت من الحماسة وأول الأبيات:

أقولُ لنفسي حين خَوَّدَ رَأْلُها ... مكانَكِ لمَّا تُشفقِي غير مشفقِ[٢]

وكوني مع التالي سبيلَ محمدٍ ... وإنْ كَذَبَتْ نفسُ المقصِّر فاصدُقي

لعمرُك ما أهلُ الأقيداع[٣] بعدما ... بلغنا ديارَ العِرْضِ عنَّا[٤] بمخلقِ

نقاتلُ عن[٥] أبناء بكر بن وائل ... كتائبَ تَرْدِي في حديدٍ ويَلْمَقِ

إذا قال سيفُ الله كُرُّوا عليهم ... كررنا ولم نحفلْ بقولِ المُعَوِّقِ[٦]

وقال المدائني: هوي بعضُ المسلمين جاريةً بمكَّة، فراودها عن نفسها، فامتنعت عليه، فأنشدها: [من الطويل]

سألتُ عطا[٧] المكيَّ هل في تعانق[٨] ... وقبلةٍ مشتاق الفؤادِ جناحُ

فقال معاذَ الله أن يُذهبَ التُّقى ... تلاصقُ أكبادٍ بهن جراحُ

---

(١) الفرج بعد الشدة ٤/ ٤٢٢. ورواية البيت فيه

رويدك حتى تنظري عمَّ تنجلي ... عمايةُ هذا العارض المتألِّق

(٢) يقال: خوَّد رأله: للمذعور المرتاع، والرَّأل فرخ النعام، والتخويد ضرب من السير سريع. ومعنى البيت: إني أثبت نفسي عندما يبده من ذعر الحرب ويفجأ من روعة القتال، فأخاطب نفسي إذا همَّت بالإحجام: الزمي مكانك. انظر شرح الحماسة للمرزوقي ١/ ٣٦٥.

(٣) الأقيداع: موضع في ديار بني أسد. وهذا البيت والذي بعده ليسا في الحماسة، وأوردهما البكري في معجم ما استعجم ١/ ١٨١ ونسبهما لضرار بن الأزور.

(٤) في معجم ما استعجم: مني. بدل: عنا

(٥) كذا في (خ) و(ف)، وفي معجم ما استعجم: من. بدل: عن.

(٦) انظر الحماسة ١/ ١٩٠ (شرح التبريزي)، ونسب الأبيات فيها لرجل من بني أسد، وكذا نسبهما ابن عساكر في تاريخه ٥/ ٥٦٥ (مخطوط) وعنده البيتان الثالث والخامس.

(٧) في أخبار النساء ص٣٤: الفتى.

(٨) في أخبار النساء: تزاور.

فقالت: أنتَ سمعته يقول هذا؟ قال: نعم، قالت: إياك أنْ تتعدى ما أمرك به عطاء.

مات المدائنيُّ ببغداد في منزل إسحاق الموصلي في هذه السنة، وقيل: ماتَ في سنة أربعٍ أو خمسٍ وعشرين ومئتين، والأوَّل أشهر، وأتت عليه ثلاثٌ وتسعون سنة[١].

محمد بن سلَّام بن عبيد الله بن سالم

أبو عبد الله البصريُّ، مولى قدامة بن مظعون، صنَّفَ كتاب «طبقات الشعراء»، وهو أخو عبد الرَّحمن بن سلام، وكانا من أهل الفضل والأدب.

وقال الحسين بن الفهم: قدمَ علينا محمدُ بن سلَّام بغداد سنة اثنتين وعشرين[٢]، فاعتلَّ علَّةً شديدةً، فما تخلَّف عنه أحد، وأهَدى إليه الأجلَّاءُ أطباءَهم، وكان ابنُ ماسويه ممَّن أُهدِيَ إليه، فلمَّا جسَّ نبضَه قال: ما أرى بك من العلَّة مثل ما أرى بك من الجزع! فقال: والله ما ذاك لحرصٍ على الدنيا مع اثنتين وثمانين سنة، ولكنَّ الإنسان في غفلة حتى يُوقظ بعلَّةٍ، ولو وقفتُ وَقْفَةً بعرفات، وزُرت قبرَ رسول الله ﷺ زورةً، وقَضيتُ أشياءَ في نفسي، أسهل عليَّ ما اشتدَّ من هذا، فقال له ابنُ ماسويه: لا تجزع، فقد رأيتُ في عروقك من الحرارة الغريزية وقوَّتها[٣] ما إن سلَّمكَ الله من العوارض بلَّغك عشر سنين أخرى. فوافق كلامُه قَدَراً، فعاش محمدٌ بعدَ ذلك عشرَ سنين.

ومات في سنة إحدى وثلاثين أو اثنتين وثلاثين.

وقال الفضل بن الحُباب: ابيضَّت لحيةُ محمد بن سَلَّام ورأسُه وله سبعٌ وعشرون سنة، وسمعتُه يقول: أفنيتُ ثلاثةَ أهلين، تزوَّجتُ وأطفلتُ فماتوا، ثم فعلتُ مثلَ ذلك فماتوا، ثمَّ فعلتُ الثالثة فماتوا، وها أنا ذا في الرابعة ولي[٤] أولاد، وكانت وفاته ببغداد.

أسندَ عن حماد بن سَلَمة وغيره، وروى عنه عبد الله بن الإمام أحمد وغيره، وهو

---

(١) انظر ترجمته ـ بالإضافة إلى ما ذكر ـ في معجم الأدباء ١٤/ ١٢٤ ، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٠٠ .

(٢) يعني: ومئتين.

(٣) في (خ) و(ف): قوتك. والمثبت من تاريخ بغداد ٣/ ٢٧٩ .

(٤) في تاريخ بغداد ٣/ ٢٨٠: ولا.

الذي رَوَى أنَّ إسلامَ جرير كان بعد نزولِ المائدة، وعامَّةُ المحدِّثين على صدقِه وثقتِه، إلَّا أنَّ أبا خيثمةَ قال: كان يُرْمَى بالقدر[١].

محمد بن يحيى بن حمزة

قاضي دمشق وابن قاضيها، وليَ قضاءَها مدَّة المأمون وبعضَ خلافة المعتصم.

وهو كان سببَ الفتنة بين القيسية واليمانية، كانت لمحمد بن بيهس بنتٌ، فخطَبها جماعةٌ من أكفائها، فامتنعَ أبوها من تزويجها، فأرسلت إلى القاضي تشكو أباها، فزوَّجَها القاضي على كرهٍ من أبيها، وكان القاضي يسكنُ بيت لِهْيا، فجمعَ محمد بن بيهس القيسيَّة لهدمِ بيت لِهْيا، وجمع القاضي اليمانية، وامتنعَ بهم، فنشبت الحربُ بينهم خمسَ عشرة سنة، حتى وصل عبدُ الله بن طاهر إلى دمشق، ولما عادَ من مصر أخذَ ابنَ بيهس معه إلى بغداد، فسكنت الفتنة[٢].

مخارق المطرب

أبو المهنَّا، قدمَ دمشق مع المأمون، وحكى عنه وعن الرشيد والمعتصم وغيرهم، وقال: خدمتُ إبراهيمَ المَوْصليَّ مدَّةً، وقلت له يوماً: ألا توصلني إلى الرشيد، قال: بلى، فأوصلني إليه، وكان الرشيدُ يضربُ بينه وبين المغنِّين ستارةً، فغنَّى ابنُ جامع وغيره، فما طرب[٣]، فغنَّيتُ فقطعَ الستارة وخرج، فقال: يا غلام إلى هاهنا فأقعدني معه على السرير[٤] وأعطاني ثلاثينَ ألف درهم، ثمَّ أضعفَها لي المأمون.

وقال: خرجَ المأمونُ يوماً وأنا عنده، فقال: يا مخارق غَنِّ بهذين البيتين، فغنيت بهما، وهما: [من الطويل]

---

(١) انظر ترجمته أيضاً في المنتظم ١١/ ١٧٢، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٥١.

(٢) ترجم لمحمد بن يحيى بن حمزة الحافظُ بن عساكر في تاريخ دمشق، كما في مختصره لابن منظور، ووقع في تاريخ دمشق خرمٌ في هذا الموضع، أشارت إليه محققته السيدة سكينة الشهابي رحمها الله في مقدمة الجزء الخامس والستين من طبعة مجمع اللغة العربية، وانظر تاريخ الإسلام ٥/ ٩٣٤.

(٣) في تاريخ دمشق ٦٦/ ٣١٠ (طبعة مجمع اللغة)، والأغاني ١٨/ ٣٣٩ أن غناء ابن جامع أعجب الرشيد إعجاباً شديداً.

(٤) في تاريخ دمشق أنه أقعده تحت السرير.

وما اسطعتُ توديعاً لها بسوى البُكا وذلك جهدُ المستهامِ المعذَّبِ
سلامٌ على من لم يُطِق عند بينه سلاماً فأومى بالبنان المخضَّبِ

فجعلَ يبكي بكاءً شديداً، فلما هدأ قلت: يا أمير المؤمنين، لا أبكى الله عينيك، يا أمير المؤمنين، ما لك؟ قال: دخلتُ إلى بعض المقاصير، فرأيتُ جاريةً كنتُ أحبُّها حبًّا شديداً وهي تموت، فسلَّمتُ عليها، فلم تطقْ ردَّ السلام، فأشارت بإصبعها.

توفي مخارق بسُرَّ من رأى.

يوسف بن يحيى

أبو يعقوب، البُوَيْطيُّ، وبويط قرية [كان لأبي يعقوب من الشافعيِّ منزلة][1]، وربما سأله رجل مسألة فيقول: سَلْ أبا يعقوب.

وقال الشافعيُّ: ما رأيت أحداً أَنْزَعَ[2] بحجَّةٍ من كتاب الله مثل البويطيّ، والبويطيُّ لساني.

ولمَّا مات الشافعيُّ[3] تنازعَ محمدُ بن الحكم والبويطيُّ في الجلوس موضعَه، حتى شهد الحميديُّ على الشافعي أنَّه قال: البويطيُّ أحقُّ بمجلسي من غيره، فأجلسوه مكانه.

وأخبره الشافعيُّ أنَّه يُمتَحن ويموتُ في الحديد، وكان كما قال، وكان فقيهاً زاهداً عابداً، ما كان تأتي عليه ساعةٌ من ليلٍ أو نهار إلَّا يقرأ أو يصلِّي، وكان أبداً يحرك شفتيه بذكر الله تعالى.

وقال الربيع بن سليمان: رأيتُ البويطيَّ على بغلٍ، وفي رقبته غُلٌّ، وفي رجليه قيدٌ، وبين الغُلِّ والقيد سلسلةُ حديدٍ فيها طوبة وزنها[4] أربعون رطلاً، وهو يقول: إنَّما خلقَ الله الخلق بـ: «كن»، فإذا كانت «كن» مخلوقة كأنَّ مخلوقاً [خلق مخلوقاً]، ووالله

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ١٦/ ٤٤٠.
(٢) في (خ) و(ف): أبرع. والمثبت من تاريخ بغداد ١٦/ ٤٤٠، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٩.
(٣) في تاريخ بغداد ١٦/ ٤٤١: لما مرض الشافعي مرضه الذي توفي فيه.
(٤) في (خ) و(ف): فيها. والمثبت من تاريخ بغداد ١٦/ ٤٤٢. وما سيأتي بين حاصرتين منه.

لأموتنَّ في حديدي هذا حتى يأتيَ من بعدي قومٌ يرونَ أنَّه قد ماتَ في هذا الشأن قومٌ في حديدهم، ولئن أُدخِلتُ إليه لأصدقنَّه، يعني الواثق.

فأودع السجن بسرَّ من رأى[١]، وكان قد حُمِلَ من مصر، فماتَ في الحبس في رجب، ودُفِن بحديده.

وقيل: تأخرت وفاته إلى سنة اثنتين وثلاثين[٢]، وهو وهم.

أخذ العلمَ عن الشافعيِّ رحمة الله عليه وغيره، وجمعَ بين العلم والتقوى، والسُّنَّةِ والعبادة، وروى عنه الأئمَّة.

وقال الربيع بن سليمان: كتبَ إليَّ من السجن: إنَّه ليأتي عليَّ أوقاتٌ لا أحسُّ بالحديد حتى تمسَّه يدي، فأحسن خُلُقَكَ مع أهلك[٣]، واستوصِ بالغرباء خيراً؛ فكثيراً ما كنتُ أسمعُ الشافعيَّ رحمه الله يقول[٤]: [من الطويل]

أُهينُ لهم نفسي لكي يكرمونَها ولا تُكْرَمُ النفسُ التي لا تُهينُها[٥]

(١) في تاريخ بغداد ١٦/ ٤٤٤، وتهذيب الكمال ٣٢/ ٤٧٣ ، ٤٧٥ وغيرها أنه سجن ببغداد.

(٢) في (خ) و(ف): اثنين وثمانين. وهو تحريف. انظر تاريخ بغداد ١٦/ ٤٤٤ .

(٣) في تاريخ بغداد ١٦/ ٤٤٣ : مع أهل حلقتك.

(٤) يعني متمثِّلاً، كما في تاريخ بغداد ١٦/ ٤٤٣ .

(٥) من قوله: وفيها فادى الواثقُ أسارى المسلمين . . . إلى هنا. ليس في (ب).